



+ آباؤنا القديسون

القديس بونيفاتيوس

تُعيّد الكنيسة المقدّسة في التاسع عشر من كانون الأول لتذكار القديس الشهيد بونيفاتيوس الذي أرسلته مولاته من روما ليحلب لها شيئاً من رفات الشهداء في الشرق، فأعادوه إليها شهيداً. نرتل في صلاة الغروب في عيده: لقد أرسلتك مولاتك أغلاييدا عبداً يا بونيفاتيوس، سائدة عليك الأهواء، فأتى بك السيد الإلهي إلى حيث كان الكفرة المغتصبون متملكين، فحطمت الأعداء وكُلّت بإكليل الظفر.

عاش القديس بونيفاتيوس في أواخر القرن الثالث وبدايات القرن الرابع. لا نعرف عن تفاصيل حياته سوى أنه عاش في روما وكان وكيلاً لأعمال سيدة رومانية من أشرف المدينة، تُدعى أغلاييدا، وكانت جميلة وتحبّ الترف وإقامة الحفلات، وقد ارتبطت مع بونيفاتيوس بعلاقة شائنة. رغم بشاعة تصرفاته، كان بونيفاتيوس يتحلّى بثلاث خصال حميدة: إضافة الغرباء، السخاء على الفقراء، والشفقة على المصايين بالتجارب.

بقيت أغلاييدا على علاقتها مع بونيفاتيوس لسنوات طويلة، إلى أن مسّتها نعمة الرب وشعرت بوخز ضمير يعذبها ويدعوها إلى التوبة، لكنها آمنت أنها بالتوبة تنال المراحم الإلهية وغفران الخطايا بواسطة شفاعة القديسين الشهداء، فاستدعت بونيفاتيوس وأخبرته عن عظم الدينونة التي سوف تقع عليهما، وحثته على التوبة أيضاً وطلبت منه أن يذهب إلى الشرق ليأتيها برفات شهداء قديسين لأن الذين يكرّمون المعذّبين من أجل المسيح يشاركوهم المجد. أتتني برفات بعض أولئك الذين غلبوا الموت لنكرّم ذكراهم ونخلص بشفاعتهم.

جمع بونيفاتيوس المال اللازم لشراء رفات القديسين من الجلاّدين، وقال مزامحاً أغلاييدا أنه سوف يعود إليها بجسده وقد أضحي جسده شهيداً، فوبّخته على دعايته في أمر لا يحتمل المزاح.

ذهب إلى الشرق الملتهب بالإضطهادات عام ٣٠٥. أثناء رحلته تسنّى له وقت للتأمل وأثار الرب قلبه فقرّر التوبة وأعلن صياماً امتنع فيه عن اللحم والخمر، وانكبّ على الصلاة والدموع تنهمر منه. كان يقول لمراقبيه: انني خاطئ شقي لكن، لكوني ذاهباً لإحضار أجساد بعض القديسين الشهداء، ينبغي لي أن أباشر هذا الإمتناع عن الأشياء التي تلذ الحنجرة.

وصل مع رفاقه إلى مدينة طرطوس (مدينة الرسول بولس) في كيليكيا، فأرسلهم إلى فندق، وانطلق إلى مقرّ حاكم المدينة. هناك وجد أكثر من عشرين شخصاً يعذبهم الجند. كان أحدهم معلقاً برجليه فوق النار، وآخر



+ آباؤنا القديسون

مقطوع اليدين، وآخر يُجلد، وآخر يُشدّ من أطرافه حتى يكاد جسده أن يتمزّق. اندهش بونيفاتيوس من جرأهم حتى أنه صرخ بصوت عالٍ: عظيم هو إله المسيحيين وعظيم هو إله هؤلاء الشهداء. ابتهل إليكم يا خدام يسوع المسيح أن تصلّوا من أجلي ليكون لي أن أنضمّ إليكم في محاربة الشيطان. اغتاض الحاكم من وقاحة بونيفاتيوس وحاول إقناعه بالسجود للأوثان، إلا أن بونيفاتيوس رفض معلناً أنه مسيحي وسيّده هو يسوع المسيح ولا يخشى أي عذاب. أمر الحاكم بغرس أعواد من القصب المسنّن تحت أظافره، ثم صبّ الرصاص المغلي في فمه. وكان بونيفاتيوس يستجير باسم الرب. أرسله الحاكم إلى السجن وفي اليوم التالي حاول إقناعه مجدداً بالوعيد والتهديد لكنه لقي الجواب نفسه، فأمر بإلقائه في مرجل كبير من النحاس فيه زفت مغلي. رسم بونيفاتيوس إشارة الصليب فخرج سالماً. عندها أمر الحاكم بقطع رأسه.

فتش رفاقه عنه فلم يجدوه، وظنّوا أنه في إحدى حانات المدينة. أخيراً صادفوا أخوا السجان فأخبرهم عن استشهاده بعدما وصفوه له وذكروا له اسمه، فذهبوا إلى حيث كان جسد بونيفاتيوس وتعرّفوا عليه. دفعوا ثمنه خمسمئة ذهبية وأخذوا الرفات وعادوا بها إلى روما.

استقبلت أغلاييدا جسد الشهيد وأقامت له ضريحاً خارج المدينة، ثم بنّت كنيسة على اسمه وباعت كل ما لها من أملاك ووزّعت ثمنها على الفقراء، وأعتقت عبيدها وانفردت عائشة في الصوم والصلاة والتوبة. ولما رقدت بعد خمس عشرة سنة دُفنت إلى جانبه في ضريحه. فبشفاعة القديس بونيفاتيوس يا رب ارحمنا وخلصنا آمين.